

الرؤية الفنية

مقدمة :

يشكل العمل الفني أحد مجالات عمل حركة التوحيد والإصلاح التي نص عليها ميثاقها وهو يندرج في مجال أوسع هو مجال العمل الثقافي والفكري، الذي « يعتبر من بين أهم المداخل التي تعتمدها حركتنا في الإصلاح»¹ والذي « لا نحصره في العمل الفكري أو العلمي الذي قد تتجاوب معه نخبة من الناس» كما « أنه لا يهتم فقط بالجانب العقلي أو المعرفي من الشخصية الإسلامية، بل إنه يشمل هذه الشخصية في أبعادها المختلفة ويعمل على إعادة صياغة قيمها المعرفية والوجدانية والسلوكية ومن ثم سعة المجالات التي يشملها العمل الثقافي ومنها مثلا: العمل الرياضي والعمل الفني والأدبي ومختلف الأنشطة التربوية للطفولة والشببية وغيرها».

إن العمل الفني يمثل منذ أقدم العصور شكلا من أشكال التحضر والترقي، وأداة للتعبير عن الجوانب الجمالية والمواهب الإبداعية الكامنة في الفطرة الإنسانية. كما أن المجال الفني في عالمنا المعاصر قد أصبح من بين أهم ساحات التدافع الثقافي ومجالات غرس القيم، مما يؤكد الحاجة إلى العناية بالمسألة

1 الميثاق، الطبعة الأولى، ص 76.

الفنية إبداعا وإنتاجا، وتكويننا للطاقات ودعمنا للمواهب وإبرازها، وانفتاحا على الأعمال الفنية البانية، خاصة أن تلك العناية تجد أصولها في مرجعيتنا الإسلامية وترتكز على تجارب أصيلة في رصيدنا التاريخي والحضاري الذي كان يستلهم إبداعاته وتعبيراته الفنية والأدبية من مصادر هذه المرجعية أي من الكتاب والسنة.

وبالنظر إلى ذلك واستحضارا لما تشهده ساحتنا الوطنية من تطورات في هذا المجال فقد أصبح من اللازم خلال هذه المرحلة أن تكون للحركة رؤيتها لمنطلقات هذا العمل وأهدافه وأولوياته ووسائل العمل فيه وهو ما نسعى إلى صياغته من خلال هذه الورقة.

أولاً : أهمية الفنون في العفيدة والحضارة الإسلامية :

يعتبر البعد الفني الجمالي أحد الأبعاد الأساسية في تكوين شخصية الإنسان. فالحاجات الذوقية والفنية والجمالية حاجات أصيلة في فطرته وتكوينه. وما يضيف على حاجاته الأولية مثل الطعام والشراب والعلاقة مع الجنس الآخر طابعها الإنساني هو طريقة التعاطي معها واقترانها بالاستجابة لحاجة ذوقية وفنية وجمالية.

فالإنسان لا يلبس الثياب أو يتناول الطعام والشراب بأية طريقة كانت، بل إنه يفعل ذلك ضمن قالب ثقافي كما أنه يسعى لتحقيق حاجته من كل ذلك ضمن قالب جمالي. والأمر نفسه بالنسبة للحاجة الفطرية الجنسية حيث إنها لا تقف عند المباشرة الجسدية الصرفة بل إنها لا تكتمل ولا تحقق استمتاعاً وإشباعاً حقيقيين إلا إذا استجيب لها ضمن قالب جمالي متمثل في رقة الكلمة وإرهاف العاطفة وتزين جسدي وخلق، فضلاً عن استحضار القصد والغاية من هذا الفعل الذي يتجاوز المتعة الجسمية إلى تحقيق العفاف والإحصان والتناسل والتكاثر واستدامة النوع الإنساني.

لهذه الاعتبارات وغيرها احتل الاهتمام بالجانب الجمالي والاستجابة للحاجات الذوقية مكانة معتبرة في التصور الإسلامي

بمصدرية الأساسين الكتاب والسنة كما شكل أحد مجالات الإبداع والتفوق في الحضارة الإسلامية التي لا تزال معالمها وآثارها شاهدة على ذلك إلى اليوم.

أ- عناية القرآن بالمدخل الجمالي في بناء شخصية الإنسان:

جعل الحق سبحانه الدليل الجمالي من أهم الدلائل المعتمدة في بناء العقيدة. وبيان ذلك أنه إذا كان الله عز وجل قد جعل الآيات الكونية، أي ما خلق في السموات والأرض واختلاف الليل والنهار وأبعاد الكون ومواقع النجوم وغير ذلك من آيات خلقه، آيات كونية دالة عليه، فإنه سبحانه وتعالى قد لفت نظرنا إلى أن مناظرة النظر والتأمل في آيات الجمال اعتبارها آيات دالة عليه دلالة آيات الجلال.

وهكذا ففي السماء وأبعادها للناظرين زينة، وللنجوم زينة، وللقمر زينة، وللصبح إذا تنفس زينة، وللليل إذا عسعس زينة، وفي الأرض جنان وحدائق ذات بهجة، وفي العسل الذي يخرج من بطون النحل شفاء وفيه أيضا زينة لأنه (شراب مختلف (ألوانه)، (النحل الآية 96) (والأنعام خلقها لكم فيها دواء ومنافع ومنها تأكلون) و لكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم) والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينته، ويخلق ما

لا تعلمون) (النحل الآية 5-6-7-8). وفي سورة النحل والرحمن بيان شاف وممتع لمظاهر الجمال والمتعة في هذا الكون.

ب- عناية السنة النبوية بالتربية الجمالية:

وقد حضر هذا البعد في التوجيه النبوي حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يربي في المسلمين الذوق الفني والجمالي. فقد قال صلى الله عليه وسلم للذي جاء يسأل عن الحرص على الملابس الجميل والنعل الجميل هل يدخل ذلك في الكبر: «إن الله جميل يحب الجمال»، بما في ذلك جمال الملابس وجمال المظهر، ففي الحديث الشريف عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس» (رواه مسلم والترمذي).

وكان صلى الله عليه وسلم يوجه إلى مراعاة الجمالية في اختيار الأسماء أيضاً، حيث كان صلى الله عليه وسلم يعجبه الاسم الحسن وكان يبذل الاسم القبيح بالحسن وكان يقول: (تسموا بأسماء الأنبياء. وأحب الأسماء إلى الله عز وجل: عبد الله، وعبد الرحمن، وأصدقها: حارث وهمام، وأقبحها: حرب ومرة).

ج - الحسن والجمال تُلتُ الشريعة:

ومما أطبقت عليه كلمة علماء الإسلام أن الشريعة كلها تدور حول حفظ الضروريات والحاجيات والتحسينيات، والتحسينيات هي كل شيء مادي أو معنوي، يحقق للناس ولحياتهم جمالا وحسنا وبهاء ورونقا. فالتحسينيات رغم أنها ليست من ضرورات الحياة ولا من حاجاتها اللازمة، فلها في الشريعة شأن ومكانة وجلب وصيانة. وهي الدائرة الثالثة من دوائر الشريعة ومقاصدها...

د - عناية الحضارة الإسلامية بالبعد الجمالي:

ولقد ظهر هذا الطابع الجمالي ووسم الحضارة الإسلامية في جميع جوانبها بميسمه. والمثال الواضح لذلك هو العمارة الإسلامية وما أبدعه الفنانون المسلمون فيها، وما أفرغوه على منتجاتها من إحساس مرهف وذوق رفيع، حيث تجد البيوت والجوامع والشوارع والخطوط والحدائق في الفضاء الإسلامي تحفا فنية تسر الناظرين، ولا زالت آثار عدد كبير منها شاهدة على ذلك الإبداع الفني والجمالي رغم مرور الأزمان والعصور.

ثانياً: واقع الممارسة الفنية في المجتمع عايناً الإسلامية المعاصرة:

بين تلك الصورة المضيئة للفن والقيم الجمالية في التصور الإسلامي والحضارة الإسلامية، وبين واقع الفنون وطريقة ممارستها اليوم والقيم التي تروج لها يوجد بون شاسع. ولذلك نجد العلاقة بالفن لدى المسلمين تحولت لدى العديد منهم لأسباب تاريخية ومعاصرة إلى علاقة توتر وتوجس، وهو التوجس الذي تجاوز في موقفه من الفن أحيانا كثيرة دائرة الحيطة والحذر إلى دائرة الرفض والتحریم والمنع.

وكان من نتائج ذلك أن المجال الفني أصبح حكرا على مدارس واتجاهات استخدمته أداة هدم للأخلاق والقيم، فتزايدت الشقة وتعمق الفصام النكد بين الفاعلين في هذا المجال وما ينتجونه من جهة وبين قيم الجمال والأخلاق والحق والخير من جهة ثانية، فتراجع الفن الرسالي والفن الجمالي، وظلت الساحة خالية لمن يُشيعون فيها فنون الميوعة والانحلال والتخدير.

ويمكن أن نرجع هذا الوضع إلى عدة عوامل منها:

1- الصورة المشينة التي ارتبطت بالفن في مختلف مناشطه، والتي جعلت منه وسيلة للهو والمجون عند بعض الفئات الهابطة المتحللة من قيم الإسلام وأدابه، مما دفع إلى تعميم الحكم بالحرمة، على أنواع فنية كثيرة نظرا لارتباط ممارستها ببعض الممارسات غير الشرعية.

2- الخلط الذي وقعت فيه طوائف من المسلمين، بين الشعائر التعبدية وبعض التعبيرات الفنية، كما حصل مثلا بين التصوف ومجالس الذكر وبعض أشكال الإنشاد والرقص، وهو ما اعتبره كثير من العلماء شكلا من أشكال الابتداع والتحريف للعبادة ومقاصدها وخصائصها. فالعبادات قائمة على النقل والتوقيف والاتباع، بينما التعبيرات الفنية داخلة في باب العادات والتعبيرات الاجتماعية، التي تسير على أصل الإباحة والتوسيع. فالعبادات لا يشرع منها ولا يدخل فيها إلا ما جاء به النص. وأما العادات فهي على أصل الإباحة، ولا يمنع منها إلا ما جاء

النص بتحريمه. وخط هذه بتلك يؤدي إلى الالتباس والابتداع في الدين.

3- المبالغة في اللجوء إلى فقه سد الذرائع لدى كثير من الفقهاء، خاصة إبان الانحطاط العام الذي عرفته الأمة الإسلامية في مرحلة من مراحل تاريخها، والذي كان وراء شيوع نفسية التقليد والمحافظة على القديم في مقابل الضعف في الاجتهاد والتحوط مما هو جديد.

4- التباس كثير من الفنون المعاصرة بحكم منشئها بفلسفة الغرب ونظرته للحياة خاصة، فجاءت محملة ببعض القيم الحضارية الغربية مثل التركيز على الجسد وتعريته وتوظيفه للإثارة وجلب الإقبال، مع المعاداة للمرجعيات الدينية في الغرب، كما أنها جاءت بأغراض فنية وأشكال إبداعية لم تكن معروفة مثل التمثيل والمسرح والفنون التشكيلية وغيرها .

5- التوظيف السياسي للفنون سواء لخدمة مصالح دول استعمارية سابقة كما هو الشأن بالنسبة لسياسات الدعم التي تعتمدها بعض الدول الأجنبية والتي تسعى من خلالها إلى تشجيع ثقافتها ولغتها

ومصالحها من خلال الفن، أو كما هو الشأن في توظيف الفن لخدمة عملية ضبط التوازنات السياسية الداخلية والإلهاء والتفيس عن الهموم والاحتقانات الاجتماعية، وإفساح المجال للبعض لاستعمالها من أجل الحد من الامتداد الثقافي والسياسي للحركة الإسلامية، مما أدى إلى تزايد التركيز على استغلال الفنون في المعركة الثقافية التي تستهدف القيم الاجتماعية المنبثقة من المرجعية الإسلامية.

والنتيجة الطبيعية لكل ذلك هو ما نلاحظه اليوم من ابتعاد كثير من المتدينين عن الفن، وابتعاد كثير من الفنانين عن الدين، وهو ما زاد من التمكين للفن المفتون في الساحة، ومن اتساع الهوة بين الدين والفن، أو على الأصح بين المتدينين والفنانين.

وكانت النتيجة أيضا قيام صناعة ثقافية وفنية تستهدف إعادة بناء نظام أخلاقي جديد يتبنى تصورا إباحيا لمفهوم الحرية، فصار صدم الذوق العام والأخلاق العامة المحمية في كل الشرائع السماوية والمواثيق الدولية والأعراف الاجتماعية يدين فئة من الفنانين الباحثين عن الشهرة والمال من

الإعلاميين وتجار الفنون الذين يروجون لصورة معينة عن المغرب ومجتمعه وثقافته بدعوى الواقعية، صورة تحت الطلب تشجعها الجوائز والأوسكار والدعم المالي السخي.

ثالثاً: موقف المسألة الفنية في سلم أولويات الحركة الإسلامية:

في هذه السياقات والظروف، فإن حركتنا والحركة الإسلامية عموماً لم تسلم من التأثير بالملابسات التاريخية الفقهية أو الواقعية التي حكمت التعامل مع الفنون في أوساط المتدينين عامة، وهو ما ظهر في ضعف اهتمام حركتنا لفترة طويلة بهذا الجانب والاكتفاء في ذلك بالإنشاد مع تحفظ أو ورع في التعاطي معه في أحسن الأحوال وكان من نتائج ذلك ما يلي :

- ضعف في الاهتمام بالمدخل الجمالي والفني في المناهج الثقافية والبرامج التربوية .
- قلة الأطر الفاعلة أو غيابها في عدد من مجالات الفن، وغياب الاهتمام بتكوين هذه الأطر أو توجيهها لاستكمال التكوين المهني أو العلمي بالمجالات الفنية الأكثر تأثيراً.

- ضعف الاهتمام بالفن إنتاجاً وتعريفاً ودعمًا وترويجاً واستهلاكاً، واقتصار ذلك كله على المبادرات الفردية.
- ضعف التشجيع أو التبني لبعض المبادرات الجادة في الوسط الفني.

أ- أهداف العمل الفني عند حركة التوحيد والإصلاح:

بناءً على أن حركة التوحيد والإصلاح قد اعتبرت في مخططها الاستراتيجي مجال الإنتاج الفني من بين أهم مجالات عملها، فإنه يمكن تحديد أهداف هذا العمل بالنسبة للحركة فيما يلي:

- الإسهام من خلال الأعمال الفنية في تعميق الإيمان من زاوية المدخل الجمالي والوجداني، سيرا على نهج القرآن في لفت الأنظار إلى آيات الجمال في الكون والارتقاء بالمدارك الذوقية والجمالية من خلال تدبر تلك الآيات.
- الإسهام في تعزيز الوظيفة التربوية والثقافية للفن وتخليصه من الابتذال، من أجل أن تكون له رسالة بناءية وليكون مجالاً من مجالات إشاعة القيم الإيجابية

ووسيلة من وسائل التدافع في معركة القيم التي تشهدها الساحة الوطنية وتعرفها عدة بلدان إسلامية.

• تصحيح النظرة إلى الفن بكل مظهراته لدى المجتمع، وتخليصه من الصور السلبية التي لحقت به في التاريخ الإسلامي من خلال إبراز الآراء الفقهية الوسطية والمعتدلة في النظر إليه .

• تحقيق التواصل مع المجتمع من خلال أعمال فنية، وجعل الفن إحدى وسائل التخاطب وغرس القيم والأخلاق الحسنة وذلك نظرا لما يشهده الواقع المعاصر من انتشار للفن وإقبال متزايد على استهلاكه خاصة مع تطور تكنولوجيا الاتصال الرقمية التي غيرت نمط استهلاك المعلومة، كما أن صناعة الذوق وغرس القيم والاتجاهات أصبحت تعتمد أكثر فأكثر على الأثر غير المباشر والتوجيه اللاشعوري والوجداني، وهو ما يتوفر في الفن أكثر من غيره من المعارف النظرية أو تلك التي تعتمد التلقين أو الخطابة أو غيرها من الوسائل المباشرة.

• التعاون مع الأطراف الفنية المؤمنة برسالية الفن وسمو أدواره والتعريف بالإنتاج الفني الأصيل والجاد.

• الإسهام في ترشيد الإنتاج الفني من خلال تطوير خطاب النقد الفني وأدبياته وتكوين كفاءات متخصصة في هذا الإطار وفق القواعد العلمية المعتمدة في النقد الفني.

• الإسهام في تلبية حاجيات مختلف مكونات المجتمع عموماً إلى الترفيه النظيف واللهمو المباح حيث لا تعارض بين الدين والترفيه المباح: « قل من حرم زينته لله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » (الأعراف، الآية 30) (رسم، خط، تصوير، تمثيل، غناء، فن تشكيلي...).

• تشجيع الإبداع الفني من خلال مختلف الآليات ووسائل التعريف المتعددة والمتنوعة.

• الإسهام في الرقي بالذوق الفني للمجتمع باعتباره أحد مداخل ترشيد الإنتاج الفني وذلك من خلال الارتقاء بالمعايير الجمالية لدى المستهلك.

ب - مجالات العمل الفني وأولوياته :

تتعدد مجالات العمل الفني وتتوزع على مختلف الفنون الجميلة التي أبدعتها البشرية، ما دامت تمارس في إطار الضوابط والمقاصد الشرعية وتندرج في خدمة قيم الحق والخير والجمال.

غير أنه يمكن أن نقسم مجالات وأولويات العمل الفني حسب ما يلي :

- مجال الإنتاج الفني من خلال تبني مبادرات للإنتاج أو تشجيع القائم منها من خلال التعاون مع أصحابها واحتضان المبادرات التي يقوم بها فنانون يؤمنون بالطابع الرسالي والدور الإيجابي للفن.
- مجال التكوين الفني من خلال إعداد أطر متخصصة في مختلف الفنون ذات الأولوية في المرحلة الراهنة وخاصة المسرح والسينما والمهن المرتبطة بهما.
- مجال النقد الفني كآلية للتعريف بالإنتاج الجاد والرقى بمعايير الحكم على الأعمال الفنية لدى جمهور واسع باعتبار ذلك مدخلا لترشيد الممارسة الفنية.

- أما من حيث المجالات والأشكال الفنية ذات الأولوية خلال هذه المرحلة فيمكن تلخيصها في ما يلي :
- ◀ مجال الكتابة القصصية والمسرحية والشعرية.
 - ◀ مجال أدب الطفولة.
 - ◀ مجال الأغنية والإنشاد.
 - ◀ مجال الرسم والخط .
 - ◀ مجال التمثيل (المسرح والسينما).
 - ◀ مجال النقد الأدبي والمسرحي والسينمائي.
 - ◀ مجال الفنون الرياضية (أو الرياضات الفنية).

ج- آليات العمل الفني ووسائله :

أما أهم آليات العمل الفني التي يمكن أن تعتمد فكثيرة ومتجددة ولا حصر لها. و يمكن أن نذكر منها مما يناسب هذه المرحلة :

- ◀ المسابقات الفنية.
- ◀ الاحتفال بالمناسبات الإسلامية (المولد، الهجرة، العيدان،...)

- المهرجانات الفنية. <
- الندوات والأيام الدراسية الخاصة بالنقد الفني. <

